مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

النقد التاريخي عند المسعودي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) في كتبه مروج الذهب ومعادن الجوهر

أ.م.د. سعد كاظم عبد الجنابي
جامعة القادسية- كلية التربية

Al-Masudi's historical criticism in his books Marwaj al-Ghahab and Ma'aden al-Jawhar 346 AH/957 AD

Asst. prof. Dr. Saad kadhem Abed Al janabi
College of Education / University of AL-Qadisyha
alganabisaad@yahoo.com

Absract

This research explains the importance of Al-Masoudi's historical material, which has reached us in his writings, and what distinguishes his historical material from other historians with its important historical rulings about his era and even the ages that preceded it by comparing the texts contained in his works with other historians. In addition, identifying the extent of his impartiality when criticizing people and institutions, and not being affected by his personal inclinations.

مقدمة:

تعد قضية النقد التاريخي من ابرز القضايا المعاصرة التي تشغل المؤرخين، لأنها تتعامل مع تراث ضخم يضم كل التاريخ الاسلامي، حيث شرع المؤرخون المعاصرون الى البحث عن النصوص التاريخية ذات الموضوعية العالية لجعلها معياراً لقراءة التاريخ الاسلامي. ويعد المسعودي واحدا من بين المؤرخين الذين لم يكتفوا بنقل الخبر فحسب بل اخضعه الى النقد والتحليل لإثبات صدقه من عدمه، كما انه اتبع منهجاً خاصاً في تتبع الاخبار التاريخية من خلال ترحاله بين البلدان مما اتاح له الفرصة ليكون قريباً من الحدث عارفا بطبيعة المنطقة ومزاج اهلها وطريقة تفكيرهم. بالإضافة الى ذلك فقد شهد عصر المسعودي خلافا شديداً بين الفقهاء وظهور العديد من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية، وخير مثال على ذلك ما وجدناه من الآثار التي خلفها المعتزلة ودعاة الاسماعيلية من العلماء والمتصوفين وغيرهم، وكان للجدل والنقاش بين هذه الفرق اثر بعيد في النهضة العلمية التي تميز بها هذا العصر. هذا كله جعل المسعودي يميل الى اطلاق احكاما تاريخية على عصره والعصور التي سبقته فكانت مادته التاريخية ذات اهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين.

اسمه ونسبه ونشأته:

هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، من ولد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الصحابي المعروف[١]. وهو بغدادي المنشأ كما ذكر معظم المؤرخين[٢]، باستثناء ابن النديم[٣] الذي ذكر انه من اهل المغرب. ومما يؤكد ان المسعودي بغدادي المشأ ما ذكره المسعودي[٤] في كتابه مروج الذهب من حنينه الدائم الى مسقط رأسه بغداد، فذكر ما نصه: "واواسط الاقاليم الاقليم الذي ولدنا به، وان كانت ريب الايام انأت بيننا وبينه، وساحقت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين اليه، اذ كان وطننا ومسقطنا هو اقليم بابل".

واشار ابن تغري بردي[٥] الى انه انتقل الى مصر وظل بها الى ان مات في جمادي الاخرة سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م.

مؤلفات المسعودي:

لعل اهم ما يميز تجربة المسعودي في الكتابة التاريخية انه دون تجربته الشخصية التي عاشها اثناء سفره وتجواله المستمر، والتي حصل عليها من المصادر الموجودة في آنذاك. لكن ما شاهده وسمعه وعاشه هو اهم ما في كتبه، تلك ميزته الاساسية التي اختلف فيها اختلافا كبيرا عن سابقيه .

ما موجود الان من تراث المسعودي كتابان هما: مروج الذهب ومعادن الجوهر و كتاب التنبيه والاشراف، الا اشارات كثيرة وردت عند المسعودي[٦] نفسه وعند غيره من المؤرخين[٧] تؤكد ان له عشرات الكتب الاخرى الا انها ضاعت ولم يبقى منها الا هذين الكتابين وجزء واحد من كتابه اخبار الزمان المؤلف اصلا من ثلاثين جزءاً. وسنبين بعض هذه المؤلفات بحسب اهميتها:

١- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر

هو اهم مؤلفات المسعودي كما صرح نفسه قائلاً: "وقد وسمت كتابي هذا بـ(مروج الذهب ومعادن الجوهر) لنفاسة ما احتواه وعظم ما إستولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنه كتبنا السالفة في معناه وغز مؤلفاتنا في مغزاه وجعلته تحفة للأشراف من الملوك واهل الدرايات لما قد ضمنه من جمل ما تدعو اليه الحاجة وتنازع النفوس الى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان وجعلته منبها على اغراض ما سلف من كتبنا، مشتملاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها، ولا يعذر بالتغافل عنها، ولم نترك نوعا من العلوم، ولا فناً من الاخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا اوردناه في هذا الكتاب مفصلا، او ذكرناه مجملاً، او اشرنا اليه بضرب من الاشارات، او لوحنا اليه بضرب من العبارات"[٨].

كما اورد المسعودي[٩] نصاً آخر يحذر فيه من تحريف هذا الكتاب قائلاً:" فمن حرف شيئاً من معناه، او ازال ركنا من مبناه، او طمس واضحة من ملامحه، او لبس شاهدة من تراجمه، او غيره، او بدله، او أشأنه، او اختصره، او نسبه الى غيرنا، او اضافه الى سوانا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياهما يعجز عنه صبره، ويحار له فكره، وجعله الله مثلة للعالمين، وعبرة للمعتبرين".

يتبين لنا مما تقدم اهمية هذا الكتاب الذي ضم بين دفتيه معلومات تاريخية وجغرافية مهمة اراد المؤلف ان تكون شاملة لمعارف متعددة ولا تقتصر على مادة واحدة او موضوع واحد وان تكون وافية تغني بما يحتاج اليه القارئ.

ولعل ابلغ ما وصف به هذا الكتاب هو قول نقولا زيادة[١٠] ونصه: " هو كتاب سياحة ومعرفة وجغرافية وعمران وملاحظة واخبار واساطير، وهو يمثل اصدق تمثيل الحياة العقلية النشطة المنطلقة للوصول الى الحقيقة، والتي لم تتحرر تماما من كل شيء غير حقيقي، فقبلت او على الاقل لم تنف ما يبدو غير منطقي وسليم".

٢- الاستذكار، لما جرى في سالف الاعصار

وهو كتاب مفقود لم يعثر على نسخة منه، ذكره في مقدمة كتابه التنبيه والاشراف[١١]- كما سنبين لاحقاً-.

٣- كتاب التنبيه والاشراف

وصف المسعودي[١٢] كتاب التنبيه والاشراف بمقالة طويلة بين فيها سبب تألفيه واهميته قائلاً:" رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجمه بكتاب (التنبيه والإشراف) وهو التالي لكتاب (الاستذكار، لما جرى في سالف الاعصار) نودعه لمعا من ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها، وكيفية أفعالها، والبيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة.....ثم نتبع ذلك بتسمية ملوك الفرس الأول، والطوائف، والساسانية على طبقاتهم وأعدادهم ومقدار ما ملكوا من السنين وملوك اليونانيين وأعدادهم، ومقدار ملكهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء، وهم الصابئون والمتنصرة، وعدتهم وجملة ما ملكوا من السنين. وما كان من الكوائن والاحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم وصفة بنودهم وحدودها ومقاديرها وما يتصل منها بالخليج ويجرى الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا وذكر الأفدية بين المسلمين والروم إلى هذا الوقت وتواريخ الأمم، وجامع تأريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وحصر ذلك وما اتصل به ومعرفة سنى

الأمم الشمسية والقمرية وشهورها، وكبسها ونسيئها، وغير ذلك من أحوالها وما اتصل بذلك من التنبيهات على ما تقدم جمعه وتأليفه، وذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وهجرته وعدد غزواته وسراياه وسواربه وكتابه ووفاته والخلفاء بعده والملوك وأخلاقهم وكتابهم ووزرائهم وقضاتهم وحجابهم ونقوش خواتيمهم وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم وحصر تواريخهم إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ للهجرة في خلافة المطيع".

٤- كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان من الامم الماضية والممالك

وهو من مصنفات المسعودي[١٣] المهمة ويذكر اته يتالف من ثلاثون جزءاً فقدت كلها ولم يبقى منها سوى جزء واحد. ولقد وصف المسعودي كتابه هذا قائلاً:" اما بعد فانا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان وقد قطعنا القول فيه على هيئة الأرض ومدنها، وعجائبها وبحارها وأغوارها، وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها، وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن ..... ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على ممر سيرهم وأوقاتهم، وتضيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والأكاسرة واليونانية، وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار العناصر إلى ما في تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء إلى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم. فذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه إلى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن، ومقاتل من ظهر من الطالبين إلى الوقت الذي شرعنا فيه في تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ".

٥- الكتاب الاوسط

وهو من الكتب المهمة الفه المسعودي بعد ان فرغ من تأليف كتابه اخبار الزمان اذ قال:" ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الاخبار على التاريخ، وما اندرج في السنين الماضية، ومن لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط، رأينا إيجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه، في كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك للكتابين، ضمناهما، وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم الماضية والأعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما ". من هذه الإلمامة الموجزة التي يذكرها المسعودي في صدر كتاب مروج الذهب يمكننا أن نلم بشيء عن كتاب أخبار الزمان للمسعودي"[١٤].

الحياة السياسية في عصر المسعودي:

اظهر المسعودي في كتبه التي وصلت الينا اطلاعا واسعاً في العلوم العربية الاسلامية وغير العربية، فهو فقيه ومتكلم ومحدث واديب ورحالة الى جانب إهتمامه الاساسي بالتاريخ والجغرافية والفلك، وله اسلوب مكنه من البيان السلس، كما اتبع منهجاً خاصاِ في التأليف التاريخي والجغرافي ولفهم هذا المنهج وفهم اسلوب وطريقة المسعودي لابد من التعرف على عصره والظروف التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية آنذاك، وذلك لما لهذه الظروف من اثر على شخصية المؤرخ وكتاباته بشكل عام.

عاش المسعودي في العصر العباسي الثاني(٢٣٢-٣٣٤هـ) في اواخر عهد الخليفة المعتضد بالله(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، وقد تميزت الفترة ما بين القرن الثالث والقرن الرابع الهجري بظهور نوع من الجو العلمي لأنواع المعرفة، حيث غدت بغداد في عصرها الذهبي في عهد العباسيين الاوائل، مجمعاً للعلوم والفنون والآداب، ومركزا للترف المادي والازدهار الحضاري في تلك الفترة. وقد ساعد على ذلك الاستقرار السياسي، وانتعاش الحضارة في ضلاله[١٥].

استمر الانعاش الحضاري حتى القرن الرابع الهجري. وبالرغم من المعاناة التي كانت تمر بها الدولة العباسية من الناحية السياسية، في العصر العباسي الثاني وبالتحديد في اثناء خلافة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، والمكتفي(٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م)، والمقتدر(٢٩٥-٣١٧هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، والقاهر بالله(٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م)، الا انها شهدت من جهة اخرى نهضة علمية ثقافية بالولايات الاساسية، التي ساهمت، بالرغم من استقلالها عن الدولة العباسية ادارياً وسياساً، بنصيب كبير في النهضة العلمية والثقافية وبناء الحضارة الاسلامية[١٦].

ولعل من بين اهم عوامل تبلور الفكر النقدي عند المسعودي هي الرحلات التي جاب بها الاقطار. ويضيف حسن خربطلي[١٧] اسباب اخرى منها ظهور الترجمة التي ساهمت في التلاقح الفكري بين الامم، بالإضافة الى ظهور الفرق الدينية والجدل الذي دار بين علمائها.

ان اعتقاد المسعودي بوجوب النقد التاريخي ناتج عن امتزاج الثقافات التي كانت سائدة في تلك الفترة ويؤكد المسعودي[١٨] نفسه على ارتباط الشخصيات واخلاقها بالبيئة الطبيعية فيقول:" والاخلاق والصور تناسب البلد وتحاذيه وتقاربه وتوافقه وتضاهيه، وكل بلد اعتاد هواءه وخف ماؤه، ولطف غذاؤه، كانت صور اهله وخلائقهم تناسب البلد وتحاذيه، وتشاكل ما عليه اركانه، وما اسس عليه بنيانه، وكل بلد يزول عن الاعتدال انتسب الى اهله الى سوء الحال".

كذلك لابد من تسليط الضوء على عصر المسعودي السياسي لمعرفة طبيعة الاحداث التي عاصرها وتفاعل معها من اجل معرفة مدى تأثير هذه الاحداث في شخصيته.

عرف عن المعتضد الذي عاش المسعودي في عصره "انه كان ملكا شجاعا مهيبا ظاهر الجبروت، وافر العق، شديد الوطأة، وكان قليل الرحمة، اذا غضب على قائد أمر ان يلقى في حضيرة ويطم عليه، وكان ذا سياسة عظيمة، وكان قوياً، حيث سكنت الفتن في ايامه، لفرط هيبته"[١٩].

كما تميز عصره من الناحية السياسية بالحزم والعدل، لذا نال محبة رعاياه، واستطاع السيطرة على زمام الامور، حيث تمكن من القضاء على ثورة الخوارج في الجزيرة بزعامة هارون الشاوي، الى جانب اخماد حركة القرامطة والموالي والانباط والاعراب، والى جانب تحسين علاقاته بالطولونيين قام المعتضد بتحسين الوضع المالي، واستصلاح الاراضي، وتحسين اوضاع الزراعة والمزارعين[٢٠].

وفي عهد المكتفي انتكست البلاد بعد ان ابتدأت تنتعش في عهد المعتضد، فقد استهلت ولايته بظهور المنافسات بين ذوي النفوذ في الدولة[٢١].

تولى بعد المكتفي الخليفة المقتدر بالله بن المعتضد(القاهر)، وكان شديدا خبيث النية، انشغل في مواجهة خصومه الذين تحالفوا ضده، وظل على هذا الحال حتى اتفق الناس على خلعه[٢٢].

وفي مستهل القرن الرابع الهجري ازداد ضعف الخلفاء العباسيين، بسبب ازدياد شوكة القواد الاتراك، وتفاقم خطر الدول المستقلة، حيث اصبح للعالم الاسلامي في ذلك الوقت هي العباسية في بغداد، والفاطمية في مصر، والاموية غي الاندلس[٢٣].

وفي عهد الراضي(٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤- ٩٤٠م)، والمتقي(٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م)، والمستكفي بالله(٣٣٣- ٣٣٤هـ/٩٤٤- ٩٤٦م) ازداد وضع الدولة تأزماً وانتكاساً، فأصحاب السلطان في العراق يتنافسون ويقتتلون، والدولة العبيدية والدولة المهدية في المغرب اشتدت وطأتها، وهي آخذة في العلو، وتحاول السيطرة على مصر، وقد ادت كل هذه الامور الى ضعف الدولة العباسية وانقسامها الى شيع وطوائف، فاشتد خطر القرامطة، وتفاقم شر الروم، حيث انتهزوا هذه الفرص لاقتطاع البلاد الاسلامية، وغزو الثغور[٢٤].

ولما ازدادت شوكة الموالي الذين اتخذهم الخلفاء العباسيين، ولم يكن من سبيل للقضاء عليهم الا دعوة بني بويه، حيث كانوا امتداداً لعصر نفوذ الاتراك، وساروا على سنتهم، فقد سيطر البويهيون(٣٣٤-٤٤٧هـ/ على الخلفاء العباسيين سيطرة كاملة، يولون من يشاؤون[٢٥].

منهج المسعودي في البحث العلمي:

ان المتتبع لأسلوب المسعودي في الكتابة التاريخية من خلال كتابيه اللذين وصلا الينا، انه كان على معرفة واسعة باللغات والعادات والتقاليد والآداب والاخلاق السياسية.

انشأ المسعودي وربما لأول مرة، فكرة دراسة التاريخ على المنهج الموضوعي، بعد ان غلب على الدراسات السابقة نظام الحوليات الذي عرفناه عند الطبري، فبدلا من ترتيب الحوادث التاريخية على حسب السنوات، رتبها المسعودي وفقاً للدول والملوك والشعوب، وهو منهج كان له اثره في كثير من المؤرخين بعده، وخصوصاً ابن خلدون، فوصفه ابن النديم[٢٦] قائلاً: "مصنف لكتب التواريخ واخبار الملوك".

بهذا المنهج انتهج المسعودي نهجاً جديداً، فلم تكن رحلاته للنزهة او الكسب، بل لمشاهدة معالم البلاد ومعرفة اخبارها، وهو بهذا اكثر معرفة وعمقاً من غيره من الرحالة، وقد سار كل من الاصطخري وابو الفداء على نهج المسعودي في رحلاته[٢٧].

اختلف المسعودي في كتابته للتاريخ عن غيره من المؤرخين، فعندما كانت كتابات البعض منهم عبارة عن سرد قصصي للأحداث التاريخية، ومن هؤلاء المؤرخ محمد بن جرير الطبري[٢٨] الذي يقول في مقدمة كتابه :"وليعلم الناظر في كتابنا هذا إن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت إني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، وأُستنبِط بفكر النفوس، الا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس فما يكن في كتابي من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من اجل أن يعرف له وجه من الصحة، ولا معنى في الحقيقة

، فليعلم انه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدي الينا" .

لهذا دون الطبري الاخبار على عهدة رواتها، وعرضها عرضاً موضوعياً محايداً، وعزا كل رواية الى صاحبها، ولم يقتصر على ما يوافق فكره او رأيه، ولم يعلق بترجيح او تفنيد او ابطال، بل ترك للقارئ ان يميز ويحكم ويختار.

وبالرغم من ثناء المسعودي على الطبري حين قال: "اما تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والرائد على الكتب والمصنفات فقد جمع انواع الاخبار وحوى فنون الاثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب نكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار"[٢٩]. الا انه حاد عن هذا المنهج، اذ اهتم بالتحليل التاريخي، او البحث عن المسببات والدوافع، ونقد الاحداث، ووصل بذلك الى استنتاجاته التي اقام عليها احكامه.

ان ما يميز المسعودي عن اسلافه من المؤرخين هو انه درس مصادره دراسة نقدية مقارنة وهي نفس الطريقة التي يتبعها المؤرخون المحدثون، لذلك نجده ينتقد المؤرخ الذي يتبع السرد المجرد، ويقول عنه انه مجرد ناقل غير عميق في علمه وتفكيره[٣٠].

ولعل اهم ما يميز منهج المسعودي انه لا يترك للقارئ فرصة البحث والتمعن والتعليق، بل يحكم بنفسه على الاحداث والشخصيات، وكأنه يشك بذكاء القارئ وفطنته وعدم قدرته على ان يحكم بنفسه على ما يعرض عليه من حقائق تاريخية، مهما بلغت درجتها من الدقة والنزاهة والوضوح، بل يقوم بنفسه بكل الامور، وهو منهج مختلف تماماً عن منهج الطبري الذي يتجنب النقد والتحليل ويغلب على منهجه السرد المجرد، ويذكر الروايات والاخبار الواحدة تلو الاخرى، كما قرأها او سمعها دون محاولة تحليلها او اخضاعها للتحليل النقدي[٣١].

لعل من بين اهم مميزات منهج المسعودي في الكتابة التاريخية انه كان لا يكتب ما لم يجد سبباً وجيهاً يدعوه الى ذلك، فما دعاه الى الكتابة في التاريخ انه وجد بعض المؤرخين يقتصرون في مؤلفاتهم على موضوع واحد في الغالب فأراد من جانبه وضع كتب شاملة تبحث في احداث التاريخ بصورة شاملة، فذكر ما نصه: "ووجدنا الاخبار زائدة مع زيادة الايام، حادثة مع حدوث الازمان، ربما غاب البارع منها على الفطن الذكي..." [٣٢].

ومن خصائص مادة المسعودي التاريخية هو اتباعه اسلوب الاسئلة والاستفسار من الاجانب عن شؤون مختلفة في بلادهم ولا سيما الامور الجغرافية، وسبب استعمال هذا الاسلوب

انه لم يستطع الوصول الى الى كل بلد رغب في ذكره في كتبه. ويروي المسعودي[٣٣] حادثة نصها: " انه رأى رجلاً اجنبياً يقيم بالواحات وجده بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ٣٣٠هـ قال فسألته عن كثير من اخبار بلادهم وما احتجت ان اعلمه من خواص ارضهم وكذلك كان فعلي مع غيره في سائر الاوقات عن اصل بلادهم واخبرني هذا الرجل عما بارضهم من الشب وانواع الزاج وما يحمل من بلادهم من انواع العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم".

ان اسلوب المسعودي هذا كان واحدا من اهم منطلقات الفكر النقدي لديه لأنه كان يعتمد منهج التمييز بين الناس عند سؤاله فيختار من يتصف بالوعي والصدق، ولا يقبل قول أي شخص يلتقي به.

كما تميز المسعودي بمراعاة الاختصاص في مادته التاريخية منقطعاً في طلبها متوجهاً بكليته اليها .

النقد التاريخي عند المسعودي:

تميز المسعودي عن غيره من المؤرخين باستخدامه لمنهج النقد في التاريخ للحكم على الامور الماضية، فقد غلب على كتاباته روح النقد والتحليل، وكان يستخدم اثناء حكمه على الشخصيات مفردات لغوية منها خيانة، خديعة، دهاء، تسامح، كمعطيات توضع امام القارء لتفسر ما يقرأه حسب وجهة نظر المؤرخ.

ويستخدم المسعودي اثناء حكمه على الشخصيات التاريخية اسلوب التشبيه، فيقوم بتشبيه الشخصية بأخرى عرفت عنها صفة ما، حتى يفهم القارئ ما يرمي اليه هو، وهذا الحكم لا نجده عند غيره من المؤرخين، فغالبا ما نرى ان المؤرخ لا يقحم نفسه في اطلاق الاحكام بل يكتفي بعرض الرواية ويترك النقد للقارئ.

فالطبري[٣٤] عند حديثه عن قصة عبد الله بن سبأ في أحداث سنة ٣٠هـ حين ذكر ما نصه "وفي هذه السنة اعني سنة ٣٠هـ كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر سبب إشخاصه إياه منها أمور كثير كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاوية في ذلك ،فأنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلي السري يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف بن عطية بن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول المال مال الله ...".

فالطبري لم يقحم نفسه في قضية الاحكام والنقد، بل انه لم يشأ ان يذكر بعض الاخبار لان فيها ما قد يسيء الى الشخصية التي كان يتحدث عنها، وهو منهج مختلف تماماً عن المنهج الذي اتبعه المسعودي وهو منهج قائم على تحليل الحدث ونقده.

ولعل من بين اهم مزايا منهج المسعودي في عرض بعض الروايات التاريخي انه كان يعتمد على معطياته الشخصية ومشاهداته، فيسوق روايته لينسف بها كل الروايات السابقة التي تناقلها المؤرخين حتى وان كانت هذه الروايات متفق عليها. فعند حديث المسعودي عن وفاة الحسن بن علي ذكر ما نصه: "وتوفي في المدينة مسموماً فيما ذكر في شهر ربيع الاول سنة ٤٩هـ، وله من العمر ست واربعون سنة، ودفن ببقيع الغرقد مع امه فاطمة عليها السلام، وهناك الى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها الحمد لله مبيد الامم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن ابي طالب، وعلي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، رضوان الله عليهم اجمعين"[٣٥].

بهذه الرواية ينسف المسعودي كماً هائلاً من الروايات التي وردت عن قصة دفن فاطمة الزهراء سرا، ومنها ما نصه:" روى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري، قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أن فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها علي ليلا وصلى عليها وذكر في كتابه هذا أن عليا والحسن والحسين عليه السلام دفنوها ليلا وغيبوا قبرها، وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن فاطمة دفنت ليلا، وروى عبد الله بن أبي شيبة عن يحيى بن سعيد القطان عن معمر عن الزهري مثل ذلك"[٣٦].

وبهذا فأن المسعودي لا يأبه لمصدر الرواية ولا يكتب الا ما كان مقتنعا به تماما، فبالرغم من ان قضية تغييب قبر الزهراء رواية شيعية بحتة، الا ان المسعودي يأتي بما ينفيها، وهذا ينفي تأثر المسعودي بميوله الشيعية وأثر ذلك في آرائه وتأريخه للأحداث والوقائع التاريخية.

وقد صرح المسعودي[٣٧] بحياديته في كتابه مروج الذهب قائلاً: "وليعلم من ينظر فيه اني لم انتصر فيه لمذهب، ولا تحيزت إلى قول، ولا حكيت عن الناس إلا مجالس أخبارهم، ولم اعرض فيه لغير ذلك".

كان المسعودي صاحب فلسفة في التاريخ، فقد استخدم منهج الحكم على الامور الماضية ووصف الشخصيات والاحداث التي يتناولها بالدراسة ثم يقوم بإصدار الاحكام عليها.

فعند حديثه عن معاوية بن ابي سفيان قال: " كان داهية ذا مكر، وذا رأي وحزم في امر دنياه، اذا رأى الفرصة لم يبق ولم يتوقف، واذا خاف الامر دارى عنه، وإذا خصم في مقال ناضل عنه، وقطع الكلام على مناظره"(٣٨).

ان المتتبع لمنهج المسعودي عند دراسته لشخصية معاوية، انه يقوم بسرد اخباره وسيرته اولاً، ويدمجها مع محادثات دارت بينه وبين آخرين، مع ذكر محاسن ومميزات الشخصيات الاخرى، دون التطرق الى شخصية معاوية، ومن ثم يميل القارئ لتلك الشخصيات، ويقف معها.

ومن بين الروايات التي يذكرها المسعودي، والتي تؤكد على فضاضة معاوية وأعوانه، المراسلة التي كانت بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة، حين كان عاملاً لعلي بن ابي طالب على مصر، ونصها: "فكتب اليه معاوية: اما بعد، فأنك يهودي ابن يهودي، وإن ظفر أحب الفريقين عزلك وأستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك، نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر قوسه، ورمى غرضه، فأكثر الحز، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، ثم مات بحوران طريداً. فكتب اليه، قيس بن سعد: أما بعد فأنت وثني ابن وثني، دخلت في الاسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، وقد كان ابي أوتر قوسه ورمى غرضه، فشغب به من لم يبلغ عقبه، ولا شق غباره، ونحن انصار الدين الذي منه خرجت، وأعداء الدين الذي فيه دخلت"(٣٩).

بالتالي فأن المسعودي لا يترك حادثة ترتبط بمعاوية إلا وصرح من خلالها بحكم عن الشخصيات التي ترتبط بالحدث اما بشكل مباشر، او بشكل غير مباشر. فعند حديثه عن اخبار صعصعة بن صوحان في عهد معاوية، استهل حديثه قائلاً: "ولصعصعة أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعاني، على ايجاز واختصار"(٤٠).

كذلك عند حديثه عن اخبار جميل بن كعب الثعلبي وهو من سادات ربيعة، عندما اسره معاوية، ذكر المسعودي(٤١) ما نصه: " الحمد لله الذي مكنني منك..... قال معاوية: وأي نعمة من ان يكون الله قد أظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حماة اصحابي؟ اضربوا عنقه، فقال: اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلني فيك، ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني على حطام الدنيا، فأن فعل فأفعل به ما هو اهله، وان لم يفعل فافعل به ما انت اهله، فقال معاوية: قاتلك الله لقد سببت فأبلغت في السب، ودعوت فبالغت في الدعاء، ثم امر به فأطلق، وتمثل معاوية بأبيات للنعمان بن المنذر، لم يقل النعمان غيرها، فيما ذكر ابن الكلبي، وهي:

تعفو الملوك عن الجليل من الامور بفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها

الا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

وبالتالي فهو يعطي احكاماً عن معاوية من خلال ايراد روايات تتضمن آراء معاصريه له، وهو منهج تفرد به المسعودي اعطى لمادته التاريخية قيمة كبيرة.

وختم المسعودي كلامه عن معاوية قائلاً: "ولمعاوية اخبار كثيرة مع علي وغيره، وقد اتينا على الغرر من اخباره، وما كان من ايامه في كتابينا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما..." (٤٢).

ان المتتبع لأخبار يزيد بن معاوية بن ابي سفيان عند المسعودي، يجد انه اتبع اسلوباً خاصاً في دراسة هذه الشخصية، حيث قام بعنونة الفقرات بعناوين تدل على مساوئه وفسوقه وظلمه وجوره على الناس. فقد بدأ حديثه بالقول: " فسوق يزيد وعماله"(٤٣). وقد ذكر في هذا الموضع ما نصه: " وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب...وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، واظهر الناس حب الشراب، وكان له قرد بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأ"(٤٤).وقوله: "بايع الناس على انهم عبيد ليزيد، ومن أبى ذلك، أمره مسرف على السيف"(٤٥).

كما يورد المسعودي اخبار كثيرة عن حوادث جرت في عهد يزيد منها: وقعة الحرة(٤٦)، ورمي الكعبة بالمنجنيق(٤٧). لإعطاء فكرة معينة عن يزيد للقارئ، ثم ان المسعودي بعد ان وجه نقده ليزيد يصرح بحكمه عنه بقوله: "وليزيد وغيره اخبار عجيبة، ومثالب كثيرة، من شرب الخمر، وسفك الدماء، والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد في الوعيد باليأس من غفرانه، كوروده فيمن جحد توحيده وخاف رسله"(٤٨).

فالمسعودي يطلق حكماً نهائياً وقطعياً عن يزيد ويؤكد انه لن يحظى بمغفرة الله، لأنه في مصاف من جحدوا توحيد الله وخالف رسله.

كما انه يحكم على يزيد حكماً آخر حين شبهه بفرعون قائلاً: " بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وانصف منه"(٤٩). فالمسعودي يرى ان فرعون افضل من يزيد .

اتبع المسعودي منهجه القائم على النقد، واطلاق الاحكام على خلفاء بني امية، فكان لا يمر بسيرة بخليفة منهم الا ووجه حكمه عليه، فهو لا يكتفي بذكر الحوادث فقط. فعندما ذكر اخبار الوليد بن عبد الملك قال عنه ما نصه: " كان الوليد جباراً عنيداً ظلوماً غشوماً"(٥٠).

لم يكتف المسعودي بالحكم على خلفاء بني امية فحسب، بل انه وجه النقد لكل الشخصيات التي عاصرت الامويين وكان لها اثراً في الاحداث السياسية والفكرية. فيصف قيس بن سعد بقوله: "وكان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى علي بالموضع العظيم"(٥١).

كذلك يصف المسعودي[٥٢] الحجاج الثقفي الدموية والوحشية، ويفسر ذلك بقوله: "وابى ان يقبل ثدي امه او غيرها، فأعياهم امره، فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة...فقال: اذبحوا جدياً اسود فأولغوه دمه...فكان لايصبر على سفك الدماء". وعلى الرغم مما تنطوي عليه هذه الرواية من مبالغة، نجدها عند ابن كثير[٥٣] وبنفس المعنى فقد ذكر ما نصه: " انه لم يرتضع حتى سقوه دم جدي ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فارتضع، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء".

كذلك وصفه لابن الزبير بقوله: " وكثرت اذيته على بني هاشم مع شحه بالدنيا على سائر الناس"[٥٤].

كذلك ينتقد المسعودي الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك بقوله:" كان هشام خشناً فضاً غليظاً....ولم ير زمان اصعب من زمانه"[٥٥]. وهذا النقد ينطوي على تأكيد وجزم لدرجة ان القارئ يعتقد ان المسعودي قد عاش في عصر هشام بن عبد الملك، وهذا الامر اما ان يكون متأتياً من امتلاك المسعودي لمعطيات كبرة عن عصر هشام، او انه متحامل على خلفاء بني امية لدرجة انه لا يتوانى عن نقدهم واطلاق الاحكام التاريخية عنهم.

من القضايا المهمة التي يجب الالتفات اليها في منهج المسعودي، هي انه كان لا يتردد بنقد الشخصيات بحسب رؤيته للأحداث، فهو يخالف باقي المؤرخين – خاصة المؤرخين الشيعة – بموقفه من قضية المختار ويضمن روايته نقداً لهذه الشخصية بقوله :" وكتب المختار كتاباً الى علي بن الحسين السجاد يريده على ان يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالاً كثيراً، فأبى علي أن يقبل ذلك منه او يجيبه على كتابه، وسبه على رؤوس الملأ في مسجد النبي (ص) وأظهر كذبه وفجوره، ودخوله على الناس بإظهار الميل الى آل علي بن ابي طالب، فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك، فأشار عليه علي بن الحسين أن لا يجيبه الى شيء من ذلك، فأن الذي يحمله على ذلك إجتذابه لقلوب الناس بهم، وتقربه إليهم بمحبتهم، وباطنه مخالف لظاهره في الميل اليهم، والتولي لهم، والبراءة من اعدائهم لا من اوليائهم، بل هو من اعدائهم لا من اوليائهم، والواجب عليه ان يشهر أمره ويظهر كذبه، على حسب ما فعل هو من القول في مسجد رسو الله (ص) ، فأتى ابن ابي الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك، فقال له ابن عباس: لا تفعل، فأنك لا تدري ما انت عليه من ابن الزبير، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار"[٥٦].

ان هذه الرواية دليل على حيادية المسعودي والتزامه بالموضوعية، بخلاف ما اشيع عنه بأنه ينقل عن رواة معروفين بميولهم الشيعية، فلو كان المسعودي كذلك لما نقل مثل هذه الرواية التي انتقد فيها شخصية تكاد تكون من الشخصيات الاكثر شعبية عند الشيعة. وهذا ينفي الكثير من التهم التي وجهها البعض له بوصفه متعصباً لمذهبه وما لذلك من اثر في آراءه وأفكاره وتأريخه للأحداث والوقائع التاريخية[٥٧].

ذكر المسعودي[٥٨] في مروجه ما نصه: " وقد كنا قد شرطنا على انفسنا في صدر كتابنا هذا ان نذكر مقاتل آل علي ابن ابي طالب، ومن ظهر منهم في ايام بني امية وبني العباس، وما كان من امرهم من قتل او حبس او ضرب، ثم ذكرنا ما تأتى لنا ذكره من اخبارهم، من قتل امير المؤمنين علي بن ابي طالب – رضي الله عنه – وبقي علينا من ذلك ما لم نورده، وقد ذكرناه في هذا الموضع، وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب". ويبدو ان البعض ترجم قول المسعودي هذا على انه يميل الى الشيعة، الا ان المتمعن في النص يجد ان المسعودي لم يصرح بأنه سينقل محاسن العلويين بل انه ذكر بأنه سينقل اخبارهم، وهذا ما تثبته الرواية التي نقلها عن المختار والتي بين فيها رأيه بحركته بموضوعية وحياد.

لعل من بين اهم مواطن النقد عند المسعودي في كتابيه مروج الذهب والتنبيه والاشراف، تلك التي وجهها لخلفاء بني العباس الذي عاصر شطراً من دولتهم، فلقد جاءت مادة المسعودي عن العباسيين مختلفة تماماً عما ورد عند باقي المؤرخين حتى في اكثر قضاياهم حساسية.

اورد المسعودي[٥٩] رواية مهمة عن قصة العباسة اخت الرشيد (١٧٠– ١٩٣هـ/٧٨٧–٨٠٩م) نصها: " إن العباسة هي التي اوصلت جعفر الى النهاية المشؤومة، بعد أن استمالت أمه بالهدايا والألطاف ونفيس الجواهر وكثير الأموال، فأستجابت ام جعفر لها، وجمعت بينها وبين ابنها، على انها احدى الجواري، فلمى قضى حاجته منها عرف جعفر حقيقة الامر، فأقبل على امه، وقال: لقد بعتني بالثمن الخسيس، وحملتني على المركب الوعر، فأنظري الى ما تؤول إليه حالي".

ان رواية المسعودي هذه تعرضت لنقد كبير من قبل ابن خلدون[٦٠] الذي قال: " هي بنت محمد المهدي بن عبد الله بن جعفر المنصور بن محمد السجاد ابن علي ابي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي (ص)، أي ان العباسة هي بنت خليفة محفوظة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته بعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف، إذا ذهب عنها".

ومما تقدم يتبين لنا ان المسعودي لا يتوانى عن اطلاق الاحكام وان كانت هذه الاحكام حساسة وتتصل بالخلفاء وذويهم، كذلك فأن المتمعن فيما اورده المسعودي يجد انه يجزم بأقواله لأنه لا يترك للقارئ حرية المقارنة لعدم ذكره اية اسانيد لرواياته.

الى جانب ذلك نجد ان المسعودي لا يتردد من ايراد روايات تنطوي على احكام اخلاقية فهو يمدح الخليفة المعتصم(٢١٨- ٢٢٧هـ/٨٣٣- ٨٤٢م)، بقوله: "فقد كان للمعتصم أخبار حسان...حكى عنه من حسن السيرة واستقامة وفضائل"[٦١]. على الرغم مما عرف عن المعتصم من بطش ومن اعتماد مطلق على الاتراك في الجيش، حتى انه اسقط العرب من ديوان العطاء وتقوية شوكة الفرس في زمانه. في حين انه ينتقد الخليفة الهادي بقوله:" كان قاسي القلب، شرس الاخلاق"[٦٢].

ان هذا التباين في الاحكام على خلفاء سبقوه زمنياً يبين لنا ان المسعودي يتخذ من النقد التاريخي منهجاً عند كتابته للتاريخ، سواءاً اكانت الشخصيات معاصرة له ام انها تسبقه زمنياً.

ان ما تتصف به كتابات المسعودي من حرية في النقد ترجع الى انه امضى معظم سنوات حياته رحالة بين البلدان، فلم يقع تحت سيطرة حاكم او امير، قد تحمله على تملقه أو التحامل عليه، وقد اعتاد حرية التنقل، ومارس هذه الحرية في كتابته للتاريخ، فأصبح حراً في نقده التاريخي، حتى انه لم يجد حرجاً في انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له، ووصفهم بالضعف وسيطرة الاتراك عليهم، فذكر انهم صاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة، ورضوا بالسلامة، وانهم كانوا كالموالي عليهم، لا امر ينفذ لهم[٦٣].

ان معاصرة المؤرخ لأحداث زمانه تطبع رواياته التاريخية بطابع الصدق والدقة. ومن خلال الاطلاع على مؤلفات المسعودي التاريخية نجد ان الخلفاء الذين كان يعيش في كنفهم قد نالوا نصيباً اكبر من النقد. فعند حديثه عن المعتضد، قسم سيرته الى اقسام منها: (حال الرعية في عهده)، فذكر ما نصه: " ولما افضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن، وصلحت البلدان، وارتفعت الحروب، ورخصت الاسعار، وهدأ الهرج، وسالمه كل مخالف"[٦٤]. وفي القسم الثاني عنوانه: (تقتيره)، ذكر نصاً بين فيه بخل المعتضد وحرصه على الدنيا[٦٥]. اما في القسم الثالث وعنوانه: (انواع من قسوته)، ذكر ما نصه: " وكان مع ذلك قليل الرحمة، كثير الاقدام، سفاكاً للدماء، شديد الرغبة في ان يمثل بمن قتله. وكان اذا غضب على القائد النبيل، والذي يختصه من غلمانه امر ان تحفر له حفيرة ثم على رأسه فيها، ويطرح التراب عليه، ونصفه الاسفل ظاهر على التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره"[٦٦].

اما ما ذكره المسعودي عن المكتفي بالله، فجاء تحت عنوان: (رده للمظالم)، ونصه: "وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس، واطلاق من كان محبوساً فيها، وامر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى اهلها، وفرق فيها اموالا، فمالت قلوب الرعية اليه، وكثر الداعي له بهذا السبب"(٦٧).

وفي موضع آخر وجه المسعودي نقداً شديداً للمكتفي، فذكر ما نصه: " وأمر ان يتخذ له قصر بناحية الشماسية بإزاء قرطبل، فأخذ بهذا السبب ضيعاً كثيرة ومزارع كانت غي تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها، فكثر الداعي عليه، فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي، وكان هذا الفعل مشاكلاً لفعل ابيه المعتضد في بناء المطامير"(٦٨).

فالمسعودي يشبه المكتفي بأبيه ويجعل عمله هذا بمصاف ما فعل ابيه عندما اتخذ المطامير.

لم يكتف المسعودي بنقد المكتفي فحسب، بل انه وجه النقد الى رجال دولته، ومنهم وزره القاسم بن عبيد الله قائلاً: " وكان وزيره القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة، شديد الاقدام، سفاكاً للدماء، وكان الكبير والصغير على رعب منه، لا يعرف احد منهم لنفسه نعمة معه"(٦٩).

وفي كتابه التنبيه والاشراف وجه المسعودي نقداً للخليفة القاهر فذكر ما نصه: " وكان ابيضاً يعلوه حمرة، مربوعاً، حسن الجسم، أعين، وافر اللحية، الثغ، شديد الاقدام على سفك الدماء، اهوج، محباً لجمع المال على قلته في ايامه، قليل الرغبة في اصطناع الرجال، غير مفكر في عواقب اموره، راكباً ردعه، واطئاً عشواته يريد التشبه بمن تقدم من آبائه، فلا يمكنه ذلك لسوء تدبيره وقبح سياسته"(٧٠).

وهذا ينفي ما ذكره سيد عبد العزيز سالم في كتابه التاريخ والمؤرخون العرب، عن تملق المسعودي للخليفة القاهر الذي عاصره، الذي يرى ان المسعودي الذي اطلق على القاهر احكاماً غير اخلاقية في كتابه التنبيه والاشراف، حاول تقليص هذه الاحكام في كتابه مروج الذهب قائلاً: "كان القاهر قبيح السياسة، غير مفكر في عواقب الامور"(٧١).

وهذا الرأي غير منطقي تماماً لعدم وجود فارق كبير بين ما ذكره المسعودي في كتابيه، هذا من جهة ومن جهة اخرى فالمسعودي شرع بتأليف كتاب التنبيه والاشراف بعد انتهائه من تأليف كتاب مروج الذهب، مما قد يوفر له وقتاً للحصول على معلومات جديدة او التمعن اكثر في شخصية القاهر التي عاصرها. مما يجعل هذا الرأي غير مقبولاً لان فيه الكثير من التجني على هذا المؤرخ.

كذلك اهتم المسعودي بأخبار الخليفة الراضي، فاستغرق صفحات كثيرة في الحديث عن الشطرنج والنرد، واخبار الماضين. ثم يذكر في نهاية حديثه ما نصه:" وكان الراضي كثير الاستعمال للطيب، حسن الهيئة، سخياً، جواداً، حسن المذاكرة بأخبار الناس وايامهم..." (٧٢).

نتائج الدراسة:

١- قام المسعودي بتدوين تجربته الشخصية التي عاشها اثناء اسفاره وتجواله المستمر، والتي حصل عليها من سابقيه ومن المصادر الموجودة في ذلك الوقت. ولكن ما شاهده وسمعه وعاشه هو اهم ما جاء في كتبه وتلك الميزة الاساسية التي اختلف فيها اختلافا كبيرا عن سابقيه.

٢- قضى المسعودي معظم سنوات حياته في رحلات مستمرة، فهو لم يقع تحت سيطرة حاكم، قد تحمله على التملق، مما اكسبه حرية النقد التاريخي حتى انه لم يجد حرجاً من انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له.

٣- بالرغم من المعاناة التي كانت تمر بها الدولة العباسية من الناحية السياسية، في العصر العباسي الثاني، وبالتحديد اثناء خلافة المعتضد بالله والمكتفي والمقتدر والقاهر بالله إلا انها شهدت من جهة اخرى نهضة علمية وثقافية مما خلق جوا نشط فيه المؤرخين ونضجت كتاباتهم وكان المسعودي قد تأثر بهذا الجو كثيراً.

٤- اختلف المسعودي عن غيره من المؤرخين إذ اهتم بالتحليل التاريخي، والبحث عن المسببات والدوافع، ونقد الاحداث، ووصل بذلك الى استنتاجاته التي اقام عليها احكامه التاريخية.

٥- ان ما يميز المسعودي عن اسلافه من المؤرخين هو انه درس مصادره دراسة نقدية مقارنة، وهي عين الطريقة التي يتبعها المؤرخون المحدثون، لذلك نجده ينتقد المؤرخ الذي يتبع السرد ويقول عنه انه مجرد ناقل، او مجرد محبر صفحات غير عميق في تفكيره وعلمه.

٦- ان المسعودي لا يترك للقارئ حرية النقد والتعليق على الاحداث والشخصيات بل يحكم بنفسه ويقدم للقارئ مادة تاريخية جاهزة.

٧- حاد المسعودي عن المنهج الذي اتبعه باقي المؤرخين فيما يتعلق بالتحقق من صحة الاخبار، فقد تميز باقي المؤرخين بالدقة والصرامة في التأكد من صحة الخبر وصدقه، وهو المنهج الذي استمر حتى القرن الرابع الهجري، اما المسعودي فقد اكتفى في مقدمة كتبه بذكر من اعتمد عليهم من الرواة او المصادر التاريخية دون ان يهتم بأن يسند اخباره.

٨- اصبحت مؤلفات المسعودي التاريخية ذات قيمة عليا لما تضمه بين دفتيها من مادة تاريخية مهمة تميزت الموضوعية، حيث لم يستثني المسعودي احداً من نقده رغم محاولات اتهامه بالتحيز المذهبي وخير دليل على ذلك النقد الذي وجهه للمختار بن ابي عبيد الثقفي.

الهوامش

١- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٥/٣.

٢- الحموي، معجم البلدان، ٩١/١٣؛ السبكي، طبقات الشافعية، ٧٢/٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣١٥/٣.

٣- الفهرست،٢٢٥.

٤- المسعودي، مروج الذهب، ٣٨/٢.

٥- النجوم الزاهرة، ٣١٥/٣.

٦- التنبيه والاشراف،١.

٧- العزاوي، المسعودي مؤرخا،٢٩-٣١.

٨- مروج الذهب، ١٩/١.

٩- مروج الذهب، ١٩/١

١٠- زيادة، الرحالة العرب،٤٧.

١١- المسعودي، التنبيه والاشراف،١.

١٢- المسعودي، التنبيه والاشراف، ٤-٥.

١٣- المسعودي، اخبار الزمان، ١٠.

١٤- المسعودي، اخبار الزمان، ١١.

١٥- عاصي، ابو الحسن المسعودي، ٨٣.

١٦- عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ٢٨٧.

١٧- المسعودي، ١٩.

١٨- مروج الذهب، ٦٣/٢.

١٩- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٩٣.

٢٠- الطبري، تاريخ، ١٦٨/٨؛ ابن الاثير، الكامل، ٤٥٣/٧.

٢١- الطبري، تاريخ، ٢١٣/٨؛ خربطلي، المسعودي،٦.

٢٢- المسعودي، التنبيه والاشراف، ٣٣٦.
٢٣- عاصي، ابو الحسن المسعودي، ٣٥.
٢٤- الخضري بك، تاريخ الامم الاسلامية، ٣٦١.
٢٥- علي، الخلافة العباسية، ٤٠-٤١.
٢٦- الفهرست، ٢٢٥.
٢٧- كحالة، التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية، ٥١.
٢٨- تاريخ، ١/٧-٨.
٢٩- مروج الذهب، ١/١٧.
٣٠- خربطلي، ٤٦.
٣١- الحوفي، الطبري، ١٨٣.
٣٢- مروج الذهب، ١/١٥.
٣٣- مروج الذهب، ١/٤.
٣٤- تاريخ، ٣/٣٣٥.
٣٥- التنبيه والاشراف، ٢٦٠.
٣٦- ابن سعد، الطبقات،٨/٣٠؛ الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٤٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب/ ٣/١٣٧؛ بن ابي حديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/٢٨٠.
٣٧- مروج الذهب، ٤/٣٠٤.
٣٨- التنبيه والاشراف، ٢٦١.
٣٩- مروج الذهب، ٣/٢١.
٤٠- مروج الذهب، ٣/٤١.
٤١- مروج الذهب، ٣/٤٥.
٤٢- مروج الذهب، ٣/٤٦.
٤٣- مروج الذهب، ٣/٦٠.
٤٤- مروج الذهب، ٣/٦١.
٤٥- مروج الذهب، ٣/٦٣.
٤٦- مروج الذهب، ٣/٦٣.
٤٧- مروج الذهب، ٣/٦٤.

٤٨- مروج الذهب، ٣/٦٤.
٤٩- مروج الذهب، ٣/٦١.
٥٠- مروج الذهب، ٤/١٣٠.
٥١- مروج الذهب، ٣/٢٢.
٥٢- مروج الذهب، ٣/١٠٤.
٥٣- البداية والنهاية،٩/١٣٨.
٥٤- مروج الذهب، ٣/٦٨.
٥٥- مروج الذهب، ٣/١٧٠.
٥٦- مروج الذهب، ٤/٦٦.
٥٧- دكسن، الخلافة الاموية، ١٧.
٥٨- مروج الذهب، ١/٨.
٥٩- مروج الذهب،٣/٣٦٧.
٦٠- تاريخ ابن خلدون، ١/١٥.
٦١- مروج الذهب، ٤/٥١-٥٢.
٦٢- مروج الذهب، ٤/٢٦٦.
٦٣- التنبيه والاشراف، ٣٤٧.
٦٤- مروج الذهب، ٤/١٨٣.
٦٥- مروج الذهب، ٤/١٨٣
٦٦- مروج الذهب، ٤/ ١٨٣-١٨٤.
٦٧- مروج الذهب، ٤/٢١٧.
٦٨- مروج الذهب، ٤/٢٢١.
٦٩- مروج الذهب، ٤/٢٢١.
٧٠- التنبيه والاشراف، ٣٣٦.
٧١- سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ١٢٥.
٧٢- مروج الذهب، ٤/٢٦٦.

قائمة المصادر

اولاً: المصادر الاولية

١- ابن أبي الحديد، ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله(ت:٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة -١٩٥٩م).

٢- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن أبي الكرم(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٨٨م).

٣- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة – لا. ت).

٤- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء ، دار الفكر ، ط٣، (بيروت – ١٩٨٠) .

٥- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر (تاريخ ابن خلدون)، مؤسسة الاعلمي، ط٤، (بيروت-لا.ت) .

٦- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت٣٢٧هـ/٧٣١م)، طبقات الشافعية الكبرى،تح: محمد عبد اللطيف الخطيب، ط١، المطبعة الحيثية، (القاهرة-لا.ت).

٧- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري(ت:٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت – لا.ت) .

٨- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء ، تح: إبراهيم صالح ، دار صادر ، ط١، (بيروت-١٩٦٧م).

٩- ابن شهر آشوب، مشير الدين ابي عبد الله محمد بن علي(٥٨٨هـ/١١٩٢م)، مناقب آل ابي طالب، تح: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف-١٩٥٦).

١٠- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- لا.ت) .

١١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، ط١، (بيروت-١٩٨٩م).
- التنبيه والإشراف ، مطبعة السعادة، (القاهرة – لا .ت).

- اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الاندلس، (بيروت–١٩٦٦).

١٢– ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب(ت:٤٣٨هـ/١٠٦٣م)، الفهرست ، تح: رضا تجدد ، (طهران–١٩٧١م) .

ثانياً: المراجع

١٣– دكسن، عبد الامير، الخلافة الاموية، ط١، دار النهضة، (بيروت٠١٩٧٣).

١٤– الحوفي، احمد محمد، الطبري، لجنة التعريف بالإسلام، (القاهرة–١٩٩٠).

١٥– الخربوطلي، حسن، المسعودي، ط٢، دار المعارف، (القاهرة–١٩٨٠).

١٦– زيادة، نقولا، الرحالة العرب، دار الهلال، (بيروت–١٩٦٥).

١٧– عاصي، حسن، ابو الحسن المسعودي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت–١٩٩١).

١٨– سالم، عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية–١٩٨٧).

١٩– العزاوي، عبد الرحمن حسين، المسعودي مؤرخا، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، (بغداد–١٩٨٣).

٢٠– علي، وفاء محمد، الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، ط١، المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية–١٩٩١).

٢١– عمر، فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، ط١، دار الارشاد، (بيروت–١٩٧٠).

٢٢– كحالة، عمر رضا، التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية، (دمشق–١٩٧٢).